يستخدم الرُّوَّاد أنور المصابيح الكهربائية فهي تبدِّد بلمعة عين تلك الغياهب المتراكمة على مسافة طويلة فتمكِّن الانسان من التمتُّع ببعض البدائع التي ذكرناها آنفاً على سبيل السرعة والايجاز

امَّا اصفى البحار مياهاً وبالتالي انسبها للتنقيب هي الواقعة في جوار دائرتي الانقلاب مثلاً حول جزيرة تاهيتي (Tahiti)

واخيراً لا يندّ عن ذهن المطلعين ان من اجمل واوسع العلوم العصرية الجديدة علم المحيط (l'Occanographie) المتناول في نطاقه الواسع كل ما انطوت عليه اعماق البحار من الجمادات والنباتات والحيوانات على اختلاف انواعها . ومن اشهر رافعي لواء هذا العلم المتضلِّعين من فروعه العديدة الواسعة امير موناكو وهي الامارة الصغيرة المستقلة الواقعة على شاطىء البحر المتوسط بين فرنسة وايطالية . فهذا النابغة هو من اعظم روَّاد اعماق المحيط وقد كرَّس لهذه الغاية قواه ووقته وماله فوسَّع نطاق العلم الحديث توسيعاً اطار صيتهُ من المشارق الى المغارب وضمن له الخلود في تاريخ المعارف البشرية . ومن اجلِّ الخدم التي ادَّاها لعشَّاق علم المحيط تأسيس متحفين لهُ احدهما في مدينة موناكو قاعدة امارته والآخر في باريس وكلاهما حافل ببعض الكنوز الدفينة في قعر البحار . فسبحان الخلَّاق العظيم القدير الذي يتنازل ويكشف لنا على توالي العصور في هذه الارض الصغيرة الحقيرة آيات رائعة الحسن تنبئنا ولو يسيراً بما عسى ان يكون جمال الاله اللامتناهي الكمالات

المئة السابعة

لإنشاء رهبانيَّة مار فرنسيس الثالثة

للاديب نقولا پاپانيقولا

في يوم عيد الفطاس الاخير اصدر الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر المالك سعيدا براءةً جليلة الفحوى بليغة المعنى وجَّهها الى الكنيسة جمعاء ذكر فيها وقوع موسم عظيم اراد بهِ تذكار المئة السابعة لانشاء الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة الثالثة المعروفة برهبانيَّة

التوبة فأطرأ ذاك المشروع السامي الذي باشرهُ فريد عصرهِ القديس الكبير فرنسيس الاسيزيّ الساروفيمي الذي ما اكتفأ بتأسيس رهبانيَّتين لجنسي ابناء الكنيسة الذكور والاناث فقدَّس بهما الوفأ بل ربوات وربوات من الناس فدعاهم الى الكمال الرهبانيّ الذي بلغوا على مثالهِ ذروتهُ فشرَّفوا العالم بممارسة اعظم الفضائل بل اراد ايضاً ان يقدّم لكافَّة المؤمنين العائشين في العالم وسائط قريبة المنال تنقذهم من شرورهِ وتؤهلهم لخلاص نفوسهم بل تساعدهم على بلوغ الكمال المسيحيّ . فللهِ درُّها شجرةً عاديَّةً متأصلة الجذور باسقة الفروع نامية الاغصان لم يقوَ الدهر على استئصالها مدَّة سبعة قرون

فهلمَّ بنا نلقِ النظر الى ذاك الفرع الثالث الذي يقع في هذه السنة تذكار قرنهِ السابع فنروي شيئاً عن اصلهِ وقانونهِ وشرفهِ وامتيازاتهِ

١ اصل رهبانيَّة مار فرنسيس الثالثة

كان القديس فرنسيس في السنة ١٢٢١ خرج الى الدساكر والقرى المجاورة لوطنهِ اسيزي ليلقي فيها المواعظ ويرشد اهلها الى التوبة فبلغ الى قلعةٍ تُدعى كرنيريو (Carnerio) تبعد اربعة اميال عن اسيزي فهناك تألَّب الشعب لاستماع كلام الله فخطب القديس في احتقار العالم واباطيلهِ بغيرةٍ عظيمة أثارت في قلوب سامعيهِ الرغبة في جحود الدنيا والزهد بحطامها فطلبوا الى القديس ان يقبلهم في عداد رهبانهِ وراهباتهِ واذ وجدهم مرتبطين بروابط الزواج لم يسمح لهم فرنسيس بان يهجروا بيوتهم بل عرض عليهم رهبانيَّةً اخفّ توافق حالتهم في الدنيا دعاها برهبانيَّة التوبة بحيث يخدمون الله في بيوتهم رجالاً كانوا او نساء ويقدّسون حياتهم بالعيشة الصالحة وممارسة الفضائل المسيحيَّة في العالم ووعدهم انَّهُ يضع لهم قانوناً مناسباً لهذه الغاية . فسُرَّ العموم لهذا الخبر واقبلوا على تحقيقهِ اقبالاً عظيماً كان سبباً لاصلاح مدنٍ بل اقطار برمَّتها . وكان اول من طلب الانضواء الى هذه الرهبانيَّة العالميَّة احد تجَّار مدينة كنَّارا (Cannara) المستوطن في قرية كاجيانوني (Caccianone) اسمهُ لوشيوس كان القديس ردَّهُ الى التوبة بمواعظهِ وكان مقترناً بامرأة صالحة فجعلها فرنسيس باكورة رهبانيَّتهِ الثالثة وكلاهما قد نُظم في عداد اولياء الله

وما لبث ان تبع مثالها غيرهم من المؤمنين في جهات فيرنسة وبلاد توسكانا فاهتمّ فرنسيس بوضع قانون خاصّ لهؤلاء المتعبّدين كما انَّهُ البسهم ثوباً غاية في الحشمة امتازوا بهِ في اعين الناس وهو عبارة عن ثوب طويل رماديّ اللون يثبتهُ على احقائهم زنَّار حبلٍ معقَّد

٢ قانونه الرهبانيّ الثالث

ان الجماهير المجمهرة التي تزاحمت حول القديس فرنسيس لتتبع رهبانيَّتهُ العاليَّة الجديدة اضطرَّتهُ الى ان يُسرع ويكتب لهم قانوناً يجرون عليهِ في العالم. فوضعهُ بعد ان استجارَ بالصلاة وطلب معونتهُ تعالى وجعلهُ في ٢٣ فصلاً اودع فيها لبابَ التعاليم الانجيليَّة. وكان اوَّل ما حثّ بهِ على طلبتهِ الحفظ التامّ لوصايا الله العشر ولوصايا كنيستهِ ثمَّ فرض عليهم ان يلبسوا لباساً بسيطاً بعيداً عن الجاه العالميّ ويمتنعوا عن حضور المراقص والولائم والمسارح وبالاجمال كلّ المحفلات العالميَّة الباطلة وينكفُّوا عن حلف اليمينات الَّا وقت الضرورة ثم يحتموا عن اكل اللحم كلّ يوم اثنين واربعاء ما عدا انقطاعات الكنيسة وكذلك قيَّدهم ببعض الاصوام غير الاصوام المفروضة وبتلاوة صلوات معلومةٍ كلّ يوم صباحاً ومساء وقبل الاكل وبعدهُ مع وجوب التقرُّب من الاسرار المقدَّسة في بعض الاعياد. وممَّا قضى بهِ في قانونهِ ان لا يحمل الاخوة الاسلحة الَّا لاجل الدفاع عن الكنيسة والايمان المسيحي والوطن باجازة مرشديهم وان يخصُّوا شيئاً من مالهم للصدقات والاعمال الخيريَّة ويسعوا في تأليف القلوب ونشر السلام ويزوروا الاخوة المرضى ويتعلُّوا لراحة نفسهم بعد وفاتهم

فليس هذا القانون كما ترى سوى نظام الحياة المسيحيَّة وعيشة المؤمنين الصادقين. وجعل القديس فرنسيس للمنتمين الى هذا القانون مرشدين من رهبانيَّاتهِ الكبيرة يزورونهم من وقت الى آخر ويراقبون انطباق اعمالهم مع القانون المذكور ويردعونهم عن كلّ ما يخالف بنودهُ السابقة

وهذه الرهبانيَّة الثالثة تصلح ليس لاهل العالم فقط بل لكل الكهنة العالميّين قد جعل لها اطواراً كأطوار الرهبانيَّات كطور الطالب الدخول وطور المبتدئ ثمَّ اخيراً بعد سنة تامَّة اذا قام فيها المبتدئ بواجباتهِ يُنظَم في سلك الاخوة ويفوز بكل النعم الممنوحة لهم في حياتهِ وبعد مماتهِ

ثمّ انّ هذا القانون الذي وضعهُ القديس فرنسيس اثبتهُ كثيرون من ائمّة الاحبار كالباباوات اونوريوس الثالث وغريغوريوس التاسع ونقولا الرابع وكثيرون غيرهم ونوّهوا بفضلهِ وحرّضوا المؤمنين على التقيُّد بهِ ولذلك رأوا تحوير بعض بنودهِ لتوسيع نطاقهِ في كلّ انحاء المعمور فخفّفوا شيئاً من اثقالهِ من جهة اللبس الرمادي وغيرهِ وبخصوص الانقطاعات والاصوام والصلوات دون ان يغيّروا شيئاً من جوهرهِ بخصوص العيشة المسيحيّة والابتعاد عن كل فخفخة وتقشّف والمواظبة على الاسرار والصلاة العقليّة وفحص الضمير وما اشبه من الرياضات الروحيّة الجارية بين الرهبان

والثوب المختصّ اليوم بالرهبان الثالثيين يُلبس تحت الثوب العادي وهو عبارة عن رقعتين كثوب الكرمل اكبر قطعاً منهُ وكذلك الزنّار يتمنطق بهِ الاخوة تحت ثوبهم العالميّ . وفي بعض حفلاتهم الرسميّة يلبسون ثوبهم الكامل

امّا الاصوام فقد يُفرَض منها للثالثيين حاضراً يومان اعني في بيرموني عيد الحبل بلا دنس وعيد مار فرنسيس

وكذلك الصلوات فانّها مقتصرة على الكهنة بتلاوة فرضهم اليومي وعلى اهل العالم بتلاوة فرض اخويّة العذراء او بدلاً منهُ بتلاوة الصلاة الربيّة والسلام الملائكي والمجد اثنتي عشرة مرّة كلّ يوم

فبهذه التسهيلات اضحى قانون الرهبانيّة الثالثة قريب المنال يستطيع الانضواء اليهِ وتتميم فرائضه اليسيرة كلّ المؤمنين . فيا ليتهم يبادرون الى اتباعهِ مع ما ينالونهُ بهِ من الشرف والنعم الجزيلة

٣ شرف الرهبانيّة الثالثة ونعمها الوافرة

انّ الكنيسة الكاثوليكية منذ ظهرت الرهبانيّة الثالثة لم تزل ترعاها بعينها الساهرة وتجزل عليها نعمها الفائضة وتنهض همم مرشديها وتنشّط المؤمنين على الانتظام في سلكها لما عاينت من اثارها الجيّدة ومفاعيلها العجيبة في النفوس

واوّل فضل يُعزى لهذه الرهبانيّة الثالثة انّها نفخت في الكنيسة روحاً جديداً غيّر وجه العالم في تلك القرون الوسطى التي كان غلب عليها روح المنازعات القوميّة والحروب الاهليّة مع الانصباب على الترفّه ورغد العيش . فكانت الرهبانيّة الثالثة احسن دواء لهذين الدائين بنشرها روح السلام وبتجرّد اصحابها عن الترف والتقشّف

وكان المنتمون الى هذه الرهبانيَّة ألوفاً مؤلَّفة من كهول وشبان ينبذون مهنة الجنديَّة ليرتزقوا بالزراعة والصناعة حتَّى انَّ الامبراطور فردريك الثاني أيس من تجنيد جيش كان يعدُّهُ لحروبهِ لمناهضة الدين

ومن شرف الرهبانيَّة الثالثة انَّهُ نشأ منها رهبانيَّات قانونيَّة عديدة كان يعيش اصحابها في الاديرة ويبرزون النذور الرهبانيَّة. ولكلٍّ منها اعمال جليلة وتاريخ واسع

وعلى مثال هذه الرهبانيَّة الثالثيَّة الفرنسيسيَّة قامت ايضاً بين اهل العالم رهبانيَّات ثالثيَّة اخرى من الدومنيكان والكرمليتان والاوغسطينيين تقدَّست فيها نفوس الوف ومئات الوف من الأسر الشريفة والعائلات المسيحيَّة فكان الفضل للسابق

ومما يشهد على شرف الرهبانيَّة الثالثيَّة في الكنيسة وجميع انحائها ما خرج منها من اولياء الله وقديسيه وقدّيساتهِ المثبتة قداستهم من الكنيسة كالقديس كونراد والقديس ايفو والقديس لويس ملك فرنسا والقديس فرديناند الملك والقديس روكس والقديس إلزيار وبعض شهداء اليابان وكالقديسات انجيل دي مريسي ومرغريتا دي كورتونا واليصابات ملكة المجر واليصابات ملكة البرتغال والقديسة روزا دي ڤيتربو . ونال غيرهم في الكنيسة رتبة الطوبويين والمكرَّمين يطول بنا تعدادهم لكثرتهم

ومنَّ انحازوا الى هذه الرهبانيَّة الثالثة ملوك وامراء ثمَّ كهنة عديدون تشرَّف بعضهم برُتَب مختلفة منهم اساقفة ومنهم كرادلة ومنهم احبار رومانيُّون نذكر بعضاً منهم ليرى القرَّاء فضل هذه الرهبانيَّة على الدين والدنيا معاً

فمن ملوك فرنسة لويس الثامن ملك فرنسة وابنهُ القديس لويس التاسع ومن ملوك اسبانية كرلوس الثاني وفيليبوس الثاني والثالث والرابع وفرديننس الثالث ومن ملوك النمسة القديس رودلفوس وكرلوس الخامس وفردريكس الثالث ومن ملوك پولونية كازيميروس الرابع ومن ملوك البرتغال الفونس الاوَّل وفرديننس وبطرس ومن ملوك بوهيمية كرلوس الرابع ثم لويس ملك المجر وميخائيل باليولوغ امبراطور القسطنطينيكوس ملك الروم . ومثلهم ملكات عديدات كمريم تريزا ملكة فرنسة ومرغريتا امرأة القديس لويس الملك وامه بلانش دي كستيلية وحنة ملكة كستيلية وايزبلا ملكة اسبانية الخ.

ومنّ رُقيَ الى السدّة البابويّة بعد دخوله في الرهبانيّة الثالثيّة الاحبار الرومانيّون غريغوريوس التاسع والعاشر ومرتينوس الرابع وكفى فخرًا الرهبانيّة الثالثيّة انّ منها خرج الباباوات الاربعة الأخيرون بيوس التاسع ولاون الثالث عشر وبيوس العاشر وبنديكتوس الخامس عشر الجالس حاضرًا على العرش الرسوليّ

وقد تشرّفت هذه الرهبانيّة الثالثة بما نالتهُ من المناشير والبراءات الرسوليّة التي اثنى فيها رؤساء الكنيسة الاعظمون اطيب الثناء على هذا المشروع الجليل ولولا ضيق المقام لأثبتنا منها قسمًا صالحًا فنكتفي بنُتَف قليلة ننقلها عن منشور قداسة الطيب الذكر لاون الثالث عشر الذي اصدرهُ في ١٧ ايلول سنة ١٨٨٢ قال:

« انّ هؤلاء الرهبان العاملين كانوا حقيقةً جنودًا للمسيح وقاموا في الكنيسة كالكاهنين الجدد فأضحوا سندًا امينًا للسلام العام. وبما انّهم اقتفوا آثار فضائل مؤسّسهم واتّبعوا قوانينهُ اجتهدوا ما استطاعوا على إحياء وترقية الآداب المسيحيّة في البلاد فاطفأوا نيران الفتن وترعوا الاباحة من ايدي الثائرين وقطعوا اسباب ودواعي المخاصمات فكم عزّوا من باغين وجبروا من مهتضين وكم استأصلوا من جراثيم التعاسة والرذل وكم ناهضوا من فساد وازالوا من شرور. فن هذه الطغمة الثالثة كمن ينبوع صافٍ جرت مياه الفضائل المسيحيّة من دمائه اخلاق وطمأنينة عامّة وسلام بيتيّ وحفظ حقوق الافراد والتسدُّن الصحيح فكل اوربّة واجب عليها الشكر للقديس فرنسيس لأنها بهِ امكنها حفظ جميع املاكها »

ثمّ حرّض المؤمنين على الدخول فيها مبيّنًا لهم ما سيربحون من فضلها . وقد عاد لاون الثالث عشر في براءات اخرى عديدة وكرّر الثناء عليها ولاسيّما في براءتهِ الصادرة سنة ١٨٨٣ التي اوّلها Misericors Dei Filius . ومثلهُ فعل البابا بيوس العاشر . وفي البراءة التي اشرنا اليها في اوّل هذه المقالة للحبر الاعظم بنسبة هذا العيد المئويّ فصول كنّا نودّ ان نعرّب معانيها البليغة واقوالها المجدية. ومما وصفهُ هناك المحبّة والسلام الفضيلتين اللتين اوصى بهما السيّد المسيح وكانا كشعار الرهبانيّة الثالثيّة في كلّ نواحي المعمور مارس بهما ابناء القديس فرنسيس الثالثيّون بتآلفهم كما نشروهما بتماليمهم فدعا امام الاحبار اهل عصرنا اليهما ونحن الآن في حاجة ماسّة الى ممارستهما بعد ما أصيب بهِ العالم من الحرب الكونيّة

ومما اوصى بهِ ايضًا الحبر الاعظم على مثال الرهبانيّة الثالثيّة العود الى بساطة الحياة والاستكفاف من الاعتناء المفرط بالجسد والحياد عن الازياء النسائيّة الباطلة والملابس الخلاعيّة وكلّ ما ينافي الروح المسيحيّ ويدفع القلوب الى الشهوة والفساد

ومما يدلُّ على اعتبار رؤساء البيعة للرهبانيَّة الثالثة النعم العديدة والنفارين المختلفة التي لم يزل الكرسي الرسولي يمنحها للمنتمين الى هذه الرهبانيَّة فهي بعد الرهبانيَّات الكبرى اغنى الجمعيَّات الرهبانيَّة بتلك الكنوز الروحيَّة . وناهيك بها داعياً قوياً يكفي ليحدو بجميع المؤمنين الى ربحها لتشهم بسعادة الدارين

٤ الرهبنة الفرنسيسية الثالثة في انحاء الشرق

انَّ اثار القداسة والبرارة التي اجتناها الغرب عن يد الرهبان الثالثيين قد اصاب الشرق منها قسماً صالحاً . وذلك منذ انشاء الرسالات الفرنسيسيَّة في اصقاعنا الشرقيَّة وكان ذلك منذ عهد القديس فرنسيس الذي قدم الى مصر ثمَّ ارسل البعض من تلاميذهِ الى عكَّا والقدس الشريف ثمَّ نمت هذه الرسالة وأنشأت بتمادي الزمان عدَّة اديرة في انحاء سوريَّة وفلسطين وفي جزيرة قبرس . فكان الرهبان يسعون حيثما يحلُّون بان يجذبوا اهل العالم الى الرهبانيَّة الثالثة فوقع كلامهم احسن وقع بين نصارى الشرق واجاب كثيرون الى دعوتهم واعتنقوا بطيب القلب القانون الثالثي . ثمَّ جاء الى سوريَّة الرهبان الكبوشيُّون في القرن السابع عشر فنشروا مثل الفرنسيسيين بين المؤمنين الدعوة الى الرهبانيَّة الثالثة فوجد صوتهم صدى استحسان في قلوب الكثيرين فشاعت هذه الرهبانيَّة خصوصاً في حلب كما يشهد على ذلك كتاب مخطوط في مكتبة الآباء اليسوعيين للاب لاونردوس يشرح فيهِ كلَّ ما يختصُّ بهذا القانون والمنتمين اليهِ والكتاب تاريخهُ سنة ١٧٣٣ يُستدلُّ منهُ انتشار الرهبانيَّة الثالثة في جهات هذه البلاد حيثما كان للآباء الفرنسيسيين اديرة ورسالات . ومما ذُكر هناك في جملة المنتمين الى هذه الطائفة امير من امراء بغداد المتنصِّرين لم يروِ شيئاً عن اخبارهِ

والرهبانيَّة الثالثيَّة في الوقت الحاضر يتبع قانونها كثيرون في القدس الشريف وفي جهات فلسطين والشام ومصر وما بين النهرين تحت ادارة ابناء القديس فرنسيس وهم غالباً يعيشون عيشةً فرديَّة ويقومون بواجباتهم كلٌّ منهم في بيتهِ . وفي بعض الانحاء كما في دمشق وحلب يجتمعون في ايَّام معلومة لاقامة مناسكهم التقويَّة

وقد سعى حضرة الآباء الكبوشيين في تنظيم الرهبانيَّة الثالثيَّة في جهاتنا على صورة اخريات يُعنون بجمعها في بعض أيَّام السنة . باشر بذلك حضرة الاب ريمي المرسل

النيور ثمّ لما تراكمت عليه الاشغال خلفهُ في هذا العمل التقوي حضرة الاب يعقوب حدّاد الغزيري سنة ١٩٠٦ ومذ ذاك الحين استنفد وسعهُ في تنشيط الاخوان وتنميتهم فنفخ فيهم روحاً جديداً يُشار اليهم بالبنان في تقاهم وعيشتهم الصالحة وغيرتهم وبلَغ حضرتهُ عددهم الى نحو اربعة آلاف لولا انَّ المجاعات والاوبئة في ايّام الحرب أودت بحياة كثيرين منهم

وقد وقفنا على بعض معلومات عن حالة الرهبانيَّة الثالثيَّة في بيروت ولبنان تدلُّ على نجاحها واقبال الاهلين عليها. فانَّ حضرة الاب يعقوب يتولّى اليوم ادارة خمسين شركة من الاخوان رجالاً ونساء انشأها في ٢٥ مكاناً من قرى لبنان وسواحل بيروت كالدامور وجونية وانتيلياس وجبيل وبترون وحارة حريك وشتنير وساحل علما ومعراب وغيرها فيجتمع الاخوان في اوقات معلومة ليسمعوا مواعظ مرشدهم ويجدّدوا نشاطهم في اقام واجباتهم . ولهم عيد سنوي غاية في الرونق والبهاء وهو يوم عيد الصليب الواقع في ١٤ ايلول يجتمعون فيهِ من كلّ فجّ وصوب ويلبسون ثوبهم الرهباني ويقضون النهار في العبادة وتوثيق عرى الاخاء فيختبرون «ما اطيب وألذّ ان يسكن الاخوة معاً» . وهذا اليوم قد تعيَّن منذ عهد قريب كعيد الثالثيّين الرسميّ . ومن اعيادهم الرسميَّة ايضاً عيد القديسة اليصابات ملكة المجر التي شرَّفت هذه الرهبانيَّة بعظم قداستها .

وفي الختام نتمنّى للرهبانيَّة الثالثيَّة كلّ ازدهار وانتشار فانَّ العالمين من المسيحيين قلّما يجدون مثلها وسيلةً لينجوا من اخطار العالم ويزيدوا فضلاً وصلاحاً ويجلبوا عليهم وعلى عيالهم نعم الله وبركاتهِ العميمة

مطبوعات حديثة جديدة

MÉLANGES DE L'UNIVERSITÉ S^t JOSEPH. T. VII^e, in.-8°, pp. 448, 40 Planches. *Imprimerie Catholique, Beyrouth,* 1921

مجموعة كلّية القديس يوسف

هي مجموعة المكتب الشرقي الذي لم يَعُدْ الى نظامهِ بعد الحرب . وقد تـأخر